

معرفة الله في زمن الكورونا

بقلم: فاتن صبري

لا ملجأ من الله إلا إليه!

لطالما في صغري أحببت عبارة "لا ملجأ من الله إلا إليه" وكنت أرددها دائما لأستشعر قربي من الله، لكنني لم أفهمها جيدا حتى حصل معي موقف طريف منذ أكثر من عشرين عاما، عندما كان ابني طفلا صغيرا لا يتجاوز عمره الثلاثة أعوام، يصر على لمس فرن الطهي وهو ساخن، حتى اضطررت أن أضربه على يده لأمنعه من العودة إلى هذا التصرف؛ فبكي وأخذ يجول من مكان إلى آخر في المنزل لا يدري أين يذهب، تزامن هذا مع نداء أبيه له ليرضيه، لكن المفاجئة أنه عاد لي مباشرة بدلاً من الذهاب لأبيه وبكى في حجري مما أضحك والده، وقال: سبحان الله. أما أنا فتذكرت قوله تعالى "لا ملجأ من الله إلا إليه" وقلت في نفسي الآن فهمتها، فالله سبحانه وتعالى يُذكرنا عندما نتعرض لبعض المصاعب للرجوع إليه كلما ابتعدنا عنه، وشعرت حينها بفرحة عارمة.

فيروس الكورونا وحكمة الله:

إن ما يقع في الأرض من كوارث يتضرر منها البشر كالأمراض، البراكين، الزلازل والفيضانات، إنما هي تجليات لأسماء الله وصفاته، وهي في نفس الوقت بمثابة ابتلاء وامتحان للإنسان يجازى عليه بالإحسان إن صبر وبالعذاب إن ضجر، وبذلك يتعرف الإنسان على عظمة ربه من خلال هذه البلايا تماما كما يتعرف على جماله من خلال العطايا. وفي ذلك قالوا: إن لم يعرف الإنسان إلا صفات الجمال الإلهي فكأنه لم يعرف الله عز وجل.

سألني أحدهم يوما عن هؤلاء الذين وقع عليهم الابتلاء بالكوارث، الأمراض أو ما شابه ذلك فقلت له ببساطة: إن الحياة الدنيا ليست إلا لحظة إذا قارنتها بالحياة الأخرى الأبدية، ومن ثم يهون كل ما عاناه المؤمن في الدنيا بغمسة واحدة في نعيم الجنة كما بشر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن وجود المصائب والشر والألم كانت السبب وراء إلحاد كثير من الفلاسفة الماديين المعاصرين، ومنهم الفيلسوف "انتوني فلو"، وكان قد اعترف بوجود الإله قبل موته وكتب كتاباً أسماه "يوجد إله"، على الرغم من أنه كان زعيماً للإلحاد خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وعندما أقر بوجود إله:

إن وجود الشر والألم في حياة البشر لا ينفي وجود الإله، لكنه يدفعنا لإعادة النظر في الصفات الإلهية، ويعتبر "انطوني فلو" أن لهذه الكوارث إيجابياتها، فهي تستفز قدرات الإنسان المادية، فيبتكر ما يُحقق له الأمان، كما تستفز أفضل سماته النفسية وتدفعه لمساعدة الناس، وقد كان لوجود الشر والألم الفضل في بناء الحضارات الإنسانية عبر التاريخ، وقال: إنه مهما تعددت أطروحات لتفسير هذه المعضلة فسيظل التفسير الديني هو الأكثر قبولا والأكثر انسجاماً مع طبيعة الحياة.

إن المتأمل السطحي يرى ما يُسببُه مرض الكورونا من معاناة وحالات وفاة وما تترتب عليه من توقف لكافة أنشطة الحياة وانعزال الناس في بيوتهم اتقاءً لهذا المرض، يراه شراً لا محالة، غير أن الشر نسبي وليس مطلق، فلو أننا تفحصنا الوضع من زاوية أخرى لوجدنا أن نسبة التلوث في هذه الفترة نزلت لأقل مستوياتها في كل أنحاء العالم نظراً لتوقف حركة الطيران وحركة السيارات والذي بدوره أدى إلى تقليل الانبعاثات الصادرة عن هذه المحركات الملوثة للبيئة. وكأن الكرة الأرضية والبيئة دخلت في مرحلة نقاهة خلال فترة انتشار مرض الكورونا. ولا بد للإنسان أن يتأمل ويعيد النظر في أموره الحيائية.

تسبب هذا الوضع في لم شمل الأسر في داخل البيوت، كما ذكّرهم بنعم الله عليهم، وبتقصيرهم في الحمد والشكر لرب العالمين. فالإنسان لا يشعر بالنعمة إلا حينما يفقدها.

كما بدأت الناس تعي أهمية النظافة أكثر من أي وقت مضى، وتعي ضرورة اتباع أساليب وقاية جادة واستخدام معقمات بصورة مفرطة، وغسل اليدين بالماء والصابون في كل وقت وحين، من كان يتوقع كل ذلك؟

مما لا شك فيه أن هذا الحدث الجلل أعاد ترتيب أولويات الحياة، كما أظهر مدى ضعف الإنسان وهشاشته، وجبروته الكاذب، ومحاولاته البائسة ضد هذا الميكروب. هذا الجبروت الذي هزمه فيروس لا يرى بالعين المجردة.

هذا الحدث كسر كبرياء الكثير ممن ظنوا أن البشر وصلوا لأعلى درجات العلم المادي، وصاروا أشبه بالآلهة وظنوا أنهم بذلك استغنوا عن الدين والخالق.

إن مرض الكورونا يفتك بالصغير والكبير، الضعيف والقوي، الفقير والغني، الإنسان البسيط والملك ولا يفرق بين أحد. وقد سمعنا عن كثير من الأثرياء الذين فروا إلى الملاجئ أو القصور المنعزلة في محاولة للهروب من بطش هذا المرض. هؤلاء أنفسهم كانوا لا يكثرثون بمعظم الأوبئة والأمراض لظنهم أنه يمكنهم القضاء عليها من خلال الإنفاق على العلاج. المشكلة الآن لدى الأثرياء أن الأموال موجودة في حين أن العلاج غير موجود. وكأن الفيروس جاء ليقيم المساواة بين البشر، لا يُفرق بين قوي وضعيف ولا يُفرق بين غني وفقير.

إنه لمن العجيب أن نرى أن البشرية بأسرها توحدت لأول مرة في التاريخ لمواجهة هذا الميكروب.

إن لم يكن هناك إله فمن أين لنا هذا الخير؟

إن المتسائل من الملحدين عن سبب وجود الشر في هذه الحياة الدنيا كذريعة لنفي وجود الإله، يكشف لنا عن قصر نظره وهشاشة فكره عن الحكمة وراء ذلك، وعن غياب وعيه عن بواطن الأمور، وقد اعترف الملحد بسؤاله ضمنا أن الشر استثناء.

لذلك قبل السؤال عن حكمة ظهور الشر، كان من الأحرى طرح السؤال الأكثر واقعية وهو "كيف وُجد الخير بدايةً؟"

لا شك أن السؤال الأكثر أهمية لا بد أن يبدأ من سبب وجود الخير. فلا بد أن نتفق على نقطة البداية أو المبدأ الأصيل أو السائد. ومن ثم يمكن أن نجد التعليلات للاستثناءات.

يضع العلماء قوانين ثابتة ومحددة لعلوم الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا بدايةً، ومن ثم يتم عمل دراسة للاستثناءات والحالات الشاذة عن هذه القوانين.

وبالمثل لا يمكن للملحدين التغلب على فرضية ظهور الشر إلا حينما يُقروا بدايةً بوجود عالم مليء بالظواهر الجميلة، المنظمة والجيدة التي لا حصر لها.

وبمقارنة فترات الصحة والفترات التي يظهر فيها المرض على مدى متوسط العمر، أو مقارنة عقود من الازدهار والرخاء وما يقابلها من فترات الخراب والدمار، وكذلك قرون من هدوء الطبيعة والسكينة وما يقابلها من ثوران

البراكين والزلازل. من أين يأتي الخير السائد بدايةً؟ إن عالماً قائماً على الفوضى والمصادفة لا يمكن أن ينتج عالماً جيداً.

ومن المفارقات أن التجارب العلمية تؤكد ذلك: ينص القانون الثاني للديناميكا الحرارية على أن الإنتروبيا الكلية (درجة الاضطراب أو العشوائية) في نظام معزول بدون أي تأثير خارجي ستزداد دائماً، وأن هذه العملية لا رجعة فيها.

بمعنى آخر، الأشياء المنظمة ستنتهار وتتلاشى دائماً ما لم يجمعها شيء من الخارج. على هذا النحو، فإن القوى الديناميكية الحرارية العمياء لم تكن لتنتج أبداً أي شيء جيد من تلقاء نفسها، أو أن تكون جيدة على نطاق واسع كما هي، دون أن يُنظم الخالق هذه الظواهر العشوائية التي تظهر في الأشياء الرائعة مثل الجمال والحكمة والفرح والحب، وهذا كله فقط بعد إثبات أن القاعدة هي الخير والشر هو الاستثناء.

يقول ابن القيم:

إن الشر والألم: إما احسان ورحمة، وإما عدل وحكمة، وإما اصلاح وتهيئة لخير يحدث بعدها، وإما لدفع شر هو أصعب منه.

في حوار لي مع ملحد روسي طرح كثير من الأسئلة، من ضمنها المتاعب والآلام التي يعاني منها البشر.

قلت له:

إن نظرتنا إلى الشر والألم تتوقف على نظرتنا إلى حقيقة الحياة الدنيا والغرض من الوجود الإنساني فيها والتي تختلف لدى المتدينين عنها لدى الماديين. قلت له: إن المنظور المادي يعتبر أن الحياة الدنيا ليس وراءها غرض تحكمها غاية، وأن الإنسان اذا مات صار عدماً، إذ ليس هناك بعث تتبعه حياة أخرى، فعلى الإنسان أن يحصل أقصى ما يستطيع من مُتَع، وبالتالي يُصبح ما قد يشعر به من ألم وكل ما يحجبه عن هذه المتع شر لا جدال فيه، وانطلاقاً من هذا المنظور يُصبح ما يتعرض له الإنسان من شرور وآلام أموراً عشوائية تمر به خلال حياته في دنيا نشأت بأسلوب عشوائي أيضاً، ومن ثم يُصبح القول بوجود إله كله رحمة ومحبة يُنظم هذه الحياة هراء وعبث بالنسبة لهم، وهذا يعني أن كل ما يحجبهم عن هذه المتعة هو ألم بالنسبة لهم.

معرفة الله:

"وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون" (الذاريات: 56).

نفهم هنا من الآية الكريمة أن الله تعالى ميز الجن والأنس مُنفردين دون سائر المخلوقات بحرية الاختيار. وأن تميز الإنسان هو بتوجهه لرب العالمين مباشرة وإخلاص العبودية له بمحض إرادته ويكون بذلك حقق حكمة الخالق بجعل الإنسان على رأس المخلوقات.

تتحقق معرفة رب العالمين من خلال إدراك ما لله من أسماء حسنى وصفات عليا والتي تنقسم إلى مجموعتين أساسيتين وهي:

أسماء جمال: وهي كل صفة تختص بالرحمة، العفو واللطف، منها الرحمن، الرحيم، الرزاق، الوهاب، البر، الرؤوف...إلخ.

أسماء جلال: وهي كل صفة تختص بالقوة والمقدرة والعظمة والهيبة، ومنها العزيز، الجبار، القهار، القابض، الخافض...إلخ.

ويترتب على معرفتنا لصفات الله عز وجل القيام بعبادته على النحو الذي يليق بجلاله وتمجيده وتنزيهه عما لا يليق به، طمعاً في رحمته واثقاً لغضبه وعقوبته. وتتمثل عبادته بالامتثال بالأوامر واجتناب النواهي والقيام بالإصلاح وتعمير الأرض. وبناءً على هذا يُصبح مفهوم الحياة الدنيا على أنه امتحان واختبار للبشر، لكي يتميزوا ويرفع الله درجات المتقين ويستحقوا خلافة الأرض ووراثة الجنة في الآخرة، في حين يلحق بالمفسدين الخزي في الدنيا ويكون مآلهم عذاب النار.

"إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا" (الكهف: 7).

المفهوم الحقيقي للإله:

ولتقديم بعض التصورات عن مدى تدهور العلاقة بين الناس ورب العالمين، أعرض هنا قصة حدثت معي مع سيدة ملحدة تقول أنها بعد أن كانت مؤمنة بالله أُلحِدَت. فسألته عن السبب فقالت: إن ابنتها مرضت بالسرطان وأنها دعت الله أن يُنجي ابنتها، وكانت تدعو الله وتقول: انه إن نجى ابنتها فسوف تؤمن به وقد ماتت البنت وكفرت الأم بالله.

هذه القصة من القصص التي أثرت في كثيرًا، وسبحان الله ما جاء في خاطري في هذه اللحظة أنهم فعلا ما قدروا الله حق قدره، فهم يتعاملون مع الله بمبدأ إذا أعطيتني أو من بك وإذا لم تعطني لن أو من بك. فهذه المرأة لم تعرف الله حق المعرفة ولم تعرف القيمة الحقيقية لهذه الحياة التي نعيشها أصلا، لأنها لو كانت تعرف قيمة هذه الحياة لما تصرفت هذا التصرف ولما تعاملت مع ربها بهذه الطريقة.

مثلا في علم الرياضيات يقولون:

أن أي رقم مقارنة باللانهاية هو صفر. فحياتنا عبارة عن مجموعة أرقام ونخسر كل يوم من حياتنا رقم من هذه الأرقام فحتى لو عشنا مائة أو مائتي سنة فمقارنة باللانهاية هو صفر، وان الموت آتٍ لا محالة في أي عُمر بمرض أو بدون مرض وساعة الموت محددة. فنحن نعيش في الواقع في الصفر. فأنا قلت للسيدة إنك لم تعرف الله حق المعرفة، لأنك لو عرفتيه حقا لما رفضت الإيمان به والتسليم له، فجهلك بصفات الله تجعلك تعامله وكأنه إنسان أمامك تُقايضيه بالمثل - سبحان الله - وهل الله تعالى زميل لك في العمل؟! من هو الله بالنسبة لك؟! هل إيمانك كان مشروع بينك وبين رب العالمين؟! هل افترضت أنها إساءة وتردين الإساءة بالإساءة؟! هذا شيء عجيب! هل أنت مخلدة في هذه الدنيا؟!

فلو كنت عرفت الله حق معرفته لما كفرت به، وهو أرحم بك من أمك وأبيك، وأنه تعالى لديه جنة عرضها السماوات والأرض. هل تخسري ذلك بهذه الدنيا؟! هل تفضلي الصفر على اللانهاية؟!

قلت لها: إنه ليس من المنطق أن نحكم على مسرحية دون أن نتابعها للنهاية ولا أن نرفض كتابا لأن الصفحة الأولى لم تعجبنا، هذا الحكم يُعتبر ناقصاً.

لقد وصلتني أسئلة كثيرة ومتكررة عن كيفية وقاية أبنائنا من الإلحاد. فأنا أقول وأكرر أن الحل هو في معرفة المفهوم الحقيقي للإله، لأنه من عرف الله هان عليه كل شيء، لأننا طبعا لم ندرك حكمة آباءنا وأمهاتنا عندما كنا صغارا في كثير من التصرفات، وكنا نتساءل دائما لماذا يتصرف الوالدين بهذه الطريقة، هل يجبني أبي فعلاً؟ لماذا لم يوافق على ذهابي لهذه الرحلة؟ هل تحبني أمي؟ فإن كانت تحبني فلماذا تضغط علي في الدراسة والحصول على الدرجات العالية. ولماذا تُجبرني على أداء الواجبات اليومية؟ لماذا ترسلني أمي للنوم كل يوم مبكرا؟ عندما كبرنا وأصبح لدينا أولاد، فهنا الحكمة من تصرفات آباءنا. وفهمنا أنه لا يوجد على الأرض من يجب لنا الخيراً أكثر منهم.

فالمعرفة العميقة للإله مهمه جدا لأننا إذا عرفنا الله حق المعرفة سوف نجد التفسير لكثير من تصاريف الأمور وتتسع آفاق الإدراك والمعرفة وحينها يبلغ الانسان رشده ويهتدى لحل كثير من المشاكل.

"مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" (التغابن: 11)

وكثيرا ما نسمع عن زيادة نسبة الإلحاد بسبب الحروب التي يتسبب فيها الإنسان والكوارث الطبيعية. لا شك أن تقدير الله لهذه الأمور أن تقع، ما هو إلا امتحان واختبار لإيمانهم، حيث إن كثيراً من الناس يعبد الله على حرف. "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۗ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۗ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۗ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ" (الحج: 11).

وهل أعبد الله أو أذكره فقط في الرخاء وعندما أتعرض للشدة أكفر به؟

رحمة الخالق:

في أحد الأيام تحاورت مع ملحد أمريكي، وقلت له: إن الخالق الذي خلق عباده هو أرحم بهم من أمهم، وأن المؤمن عندما يضع في اعتباره أن من سيحاسبه يوم القيامة هو ربه الذي خلقه، هو أرحم به من أمه التي ولدته، فتخيل مدى فرحته ومدى اطمئنانه عندما يقابل ربه، وهذا كافي لأن نشعر بالسعادة في هذه الدنيا وسوف تهون علينا كل الصعاب.

فأعطيته مثال بسيط عن أهمية معرفة الله، قلت له:

إنك لو أخبروك أن فاتن صبري التي تتكلم معك هي من هواة تربية الأسود مثلاً، وأنها لديها شخصية قوية ولا ترحم، وممكن أن تؤذيك، فطبعاً سوف تصدق، لأنك لا تعرفني واحتمال كبير أن تأتي هنا وتأخذ الإحتياجات اللازمة وترتعد، لكن من يعرفني جيداً فسوف يتفاجأ ويضحك من هذه المعلومة لأنه يعلم جيداً أن فاتن تخاف من الققط أصلاً، وضحك كثيراً.

في حوار لي مع قسيس من قساوسة الفاتيكان وكنا قد دخلنا في نقاش وشرحت له عن عقيدة التوحيد. وقلت له: إن المسلم يؤمن بإله واحد أحد، ليس له شريك ولا ولد، وأنه تعالى أرسل الأنبياء والرسول كعيسى وموسى ومحمد لنشر رسالة التوحيد في العالم، خلق عيسى من غير أب وخلق آدم من غير أب ولا أم، فهو يخلق ولا يلد، وأمرنا بعبادته وحده كما عبده هم، فنحن نعبد الله كما عبد عيسى الله ولا نعبد عيسى نفسه، ونحن نعبد الله كما عبد محمد

الله ولا نعبد محمد نفسه ونصلي لله. وكذلك فقد كانت السيدة مريم تصلي لله وحده، وعليه فيجب ألا نصلي لمريم نفسها ولا نطلب منها، بل نطلب من الله كما كانت السيدة مريم تطلب من الله مباشرة.

حينها قاطعني هذا القسيس وقال نحن لا نعتبر مريم هي الله ولا نعدها، ولكننا نستخدمها كوسيلة للوصول إلى الله. وبرر ذلك بمثال الأسرة، عندما يطلب الأطفال مثلاً زيادة في المصروف أو ما شابه يلجؤون إلى الأم لكي تكون وسيطاً بينهم وبين أبيهم، لأن قلب الأم طيب ورقيق وتحبهم أكثر، وممكن أن توصل طلبهم بطريقة أفضل للوالد. طبعاً جوازي كان قاطع وصارم في هذه النقطة وقد تفاجأ به، حيث قلت له نعم كلامك صحيح، ولكن هذا في حالة أن الأطفال لا يعرفون أبيهم حق المعرفة، حيث أنه باعتقادهم أن الأم هي أرحم بهم من أبيهم، لكنهم لو عرفوا أن هذا الأب هو أرحم من الأم لذهبوا إليه مباشرة، وهذا جهل من الأولاد بطبيعة الأب.

واسترسلت قائلة له: أن البشر لو عرفوا الله حق المعرفة وعرفوا أن الله أرحم بهم من أمهاتهم وآبائهم لذهبوا إليه مباشرة.

فقاطعني ثانية وقال: لا أنتِ لم تفهميني، نحن نستخدم السيدة مريم كوسيلة للوصول لرب العالمين كالذي يُريد أن يضيّف زواره مثلاً ويضع المشروبات على صينية، فالسيدة مريم هي الصينية التي تُرسل بها طلباتنا لرب العالمين.

فقلت له سبحان الله! ومن كانت بمثابة الصينية التي استخدمتها مريم للوصول الى رب العالمين؟! هل مريم عبدت الله مباشرة أم عن طريق وسيط؟ هل وضعت دعائها على صينية؟ أخبرني! هل عبدت عيسى عليه السلام؟ أم عبد عيسى أمه؟ أم اتخذت قسيساً أم وسيطاً أم قديساً؟

الشاهد هنا أن هذه القصة كانت بالنسبة لي نقطة انطلاق لنشر المفهوم الحقيقي للإله وكانت سبب لكتابة كتابي: المفهوم الحقيقي للإله، الذي أردت به أن أوضح للعالم أن المفهوم الحقيقي للإله هي النقطة المفقودة الآن، لأن أتباع الديانة الهندوسية مثلاً يؤمنون بإله واحد أحد ولكن هناك من أقنعهم أن الله يتمثل في حجر أو في صنم وقد أعجبهم ذلك لأنهم لم يعرفوا من هو الله، وأن الله لا يأتي إلى الأرض، وأن ذاته العليا لا بد أن تكون خارج السماوات والأرض، وإرادته وقدرته نافذة لجميع مخلوقاته.

إن عدم معرفة رب العالمين يُؤدي إلى وضع أفكار أو تصورات خاطئة عن الإله كأن يتجسد في ثلاثة أقانيم أو يتمثل في جسد بشر. إن تحريف المفهوم الحقيقي للإله في العهد القديم لم يُشوش أذهان الناس فقط ويضعهم في حيرة فحسب، بل تسبب بلجوئهم إلى الإلحاد وصرْفهم عن الدين بالكلية. فالتوراة التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على موسى عليه السلام ذكرت أن الله تعالى بصفاته العليا، هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا يموت وهو الخالق الأبدى الرحيم المنزه عن كل عيب أو نقص، وأنه المعبود وحده، لكن نجد في العهد القديم (التوراة المحرّفة)، أنهم ينسبون إليه صفات لا تليق به (كأن ينسى، لا يعرف، يخاف، يرتاح) سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

وسبحان الله في صغري كنت اتساءل دائما لماذا ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أنه خلق السماوات بدون أن يتعب وكنت أتعجب جدا من الداعي لذكر هذه النقطة، حيث أنه معروف أن الله تعالى لا يتعب، حتى التحقت بمجال الدعوة، عندما عرفت أن النصراني يعتقد أن الله عندما خلق السماوات والأرض ارتاح يوم الأحد. وهم دائما يسألوني لماذا لا يعتبر المسلمون يوم الأحد هو يوم مقدس وأقول ببساطة لأن الله لا يتعب لكي يرتاح. المفاجأة أنهم يضحكوا بشدة من جوابي ويقولون فعلا نعم كلامك صحيح.

التوحيد هي وسيلة الخلاص:

إنه لمن الخطأ أن نُعرّف الإسلام على أنه الإيمان بإله واحد ونقف إلى هنا، فالإسلام هو:

الإيمان بإله واحد أحد وهو الخالق والذي ليس كمثلته شيء، وعبادته وحده بدون قسيس ولا قديس ولا أي وسيط.

فالإسلام ليس فقط توحيد الربوبية بل وتوحيد رب العالمين في العبادة (توحيد الألوهية بمعنى عبادته وحده بدون وسيط). إن الإيمان بإله واحد (توحيد الربوبية) موجود في ديانات كثيرة وكانت موجودة في عقيدة كفار قريش أيضا؛ فعندما سُئلوا عن سبب عبادتهم للأصنام قالوا: لتقربنا إلى الله زُلفى فهم لا يُنكرون وجود الله. وبإمعان النظر في مُعتقدات الشعوب نكتشف أن غالبية الأمم التي لديها موروث ديني ولديها رموز دينية مختلفة لا تزال تُؤمن بوجود خالق للكون وتلجأ إليه عند الشدائد. مما يُؤكد ان هذه الديانات والمعتقدات لها أصول تاريخية نابعة من ديانة أصلية واحدة صحيحة. وأن ما لدى الشعوب الحالية من تراث ديني يحتوي بداخله على عقيدة التوحيد والإيمان بإله واحد والتفرد بعبادته. وأن هناك دلائل وشواهد في هذه الديانات والكتب تشير إلى أن جذورها وأصولها ترجع إلى عقيدة الإسلام والتوحيد.

إن الاختلافات بين الديانات تتمثل في الوسيلة المتبعة في التواصل مع الخالق مباشرة أو من خلال اتخاذ وسطاء (قديسين، كهنة، أصنام أو أنبياء) فلو أن جميع الديانات تركوا عبادة الوسطاء وتوجوا مباشرة للخالق لتوحدت البشرية ولاستقامة

قلوبهم واهتدت للحق. فكما أن الجميع يتفق في وحدانية التوجه نحو الخالق مباشرة دون شريك أو وسيط عند وقوع المصائب أو الشدائد فكان لا بد من دعوة الجميع في السراء والضراء لعبادة رب العالمين. كما ورد القرآن الكريم:

"قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" (آل عمران: 64)

الخلاصة:

إذاً، الحياة الدنيا بداية لرحلة أبدية يستأنفها الإنسان بعد الموت بالبعث والحساب ومن ثم الجزاء، ويعتبر الإسلام أن وجودنا في هذه الدنيا هو لهدف وغاية سامية وهي معرفة الله عز وجل، وعبادته والتوجه إليه مباشرة.

والذي يقع من ابتلاءات هو أرادته الله، والذي أرادته الله وقع، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق، حيث أنه لا يوجد شر مطلق بالوجود.

مراجع:

www.fatensabri.com

<http://www.islamhouse.com>

<http://quranenc.com/en/home>

كتاب خرافة الإلحاد. د عمرو شريف